الوحش الأخضر الصغير

هاروكي موراكامي

ترجمة: مي أحمد

غادر زوجي إلى العمل كالمعتاد، كنتُ عاجزة عن التفكير في أي شيءٍ أشغل نفسي به. جلستُ وحدي في الكرسي المقابل للنافذة، أحدق خارجا جهة الحديقة عبر فُرجة ستائرها. لا يعني ذلك أنه كان لدي سببا للنظر إلى الحديقة، ولكن لم يكن هناك شيء آخر أفعله. فكرتُ أنه فيما لو جلستُ هنا أنظر ، فقد تخطر لي فكرة لعمل شيءٍ ما، عاجلا أم آجلا. من بين كل الأشياء الموجودة في الحديقة كان أكثر ما يشدُّ انتباهي هو شجرة البلوط. لقد كانت شجرتي المفضلة. زرعتها وأنا طفلة صغيرة، وراقبتها وهي تنمو، لذلك فأنا أعتبرها رفيقةُ دربْ. وكنتُ بيني وبين نفسي أتحدث معها طوال الوقت.

في ذلك اليوم، لربما كنتُ أتحدث مع شجرة البلوط أيضا، غير أني لا أذكر حول ماذا كان الحديث. ولم أكن أعلم كم من الوقت مضى وأنا جالسة. يمرّ الوقت وأنا أنظر إلى الحديقة دون أن أشعر. وحلّ الظلام قبل أن أعي ذلك، لاشك أنني قضيّتُ فترة

طويلة هناك. وفجأةً سمعتُ صوتا، صوتٌ يأتي من مكان ما بعيد، صوتٌ غريب، مكتوم كصوت شيئّين يحتكان ببعضهما.

في بداية الأمر ظننتُ أن هذا الصوت يأتي من داخل أعماقي، أنني كنتُ أتخيل سماعه كأنه ـــ تحذيرٌ من الشرنقة المظلمة التي كان جسدي ينسجها داخله. حبستُ أنفاسي وأصغيت. نعم، ليس هناك أي مجالٍ للشك. كان الصوت يقترب مني شيئا فشيئا. صوت ماذا؟ لم يكن لديّ أدنى فكرة، لكنه جعل جسدي ينتفض.

ظهر بالقرب من بقعة الأرض المحيطة بأسفل الشجرة بروزٌ للأعلى كأن هناك سائل غليظ، وثقيل على وشك الإندفاع إلى السطح. مرةٌ أخرى حبستُ أنفاسي. انشقت الأرض وانهارت الربوة الصغيرة لتكشف عن صفٍ من المخالب الحادة. عيناي كانتا تنظران إليها، ويداي صارتا قبضتين مشدودتين. شيءٌ ما سيحدث. قلت في نفسي. ولقد بدأ الآن. أخذت المخالب تحفرُ في

التربة بقوة ، وسرعان ما اتسع الشقّ في الأرض ليصبح فجوة مفتوحة. ومنها زحف وحشٌ أخضر صغير.

كان جسم الوحش مغطى بحراشف خضراء لامعة، وحالما خرج من الفجوة نفض عن جسمه حبيبات التربة العالقة به. كان له أنفٌ طويلٌ غريب، لونه أخضر ويزداد اللون عمقًا تدريجيًا ناحية طرفه، أما آخر أنْفه فكان رفيعا وحادا كسوْط. غير أن عينيّ الوحش كانتا تشبهان عينيّ إنسان. منظرهما أصابني بالقشعريرة، لقد كانتا تفيضان بالمشاعر كأنها عيناك أو عيناي.

بلا تردد، وبخطى بطيئة ومتروّية، اقترب الوحش من باب منزلي الأمامي، وبدأ بالطرق عليه بطرف أنفه النحيل. صدى صوت الطرق الجاف تردد عبر أرجاء المنزل. تحرّكتُ على رؤوس أصابعي إلى الحجرة الخلفية. آملة ألا يشعر الوحش بوجودي. لم أستطع الصراخ، بما إن منزلنا هو المنزل الوحيد في الناحية. وزوجي لن يعود من عمله حتى ساعة متأخرة من الليل. لم استطع الهرب من الباب الخلفي أيضا، فبيتي له باب واحد، وهو

الباب الوحيد الذي يقوم بطرقهِ وحشٌ أخضر رهيب الآن. تنفستُ بهدوء بقدر ما استطعت، متظاهرة بأنني لستُ في المنزل. يحدوني الأمل بأن يشعر ذلك الشيء باليأس ويرحل. لكنه لم يستسلم. بل إن أنفه انتقل من الطرقِ على الباب إلى تلمّس القفل، وتبين لي إن لامشكلة لديه بتاتا في النقر على قفلِ الباب وفتحه. وهكذا انْفَرج الباب فُرّجةً صغيرةً. ومن طرف الباب زحف الأنْف، ثم توقف. وظل في مكانهِ لفترةٍ طويلة دون حركة، مثل ثعبانٍ رفع رأسه، ليتفقد الأوضاع في المنزل. لو كنتُ أعرف أن هذا ما سيحدث، لكنتُ بقيتُ قرب الباب وقطعتُ أنفه من مكانه، قلتُ لنفسي: المطبخ يمتلأ بسكاكين حادة. ما إنْ خطرت هذه الفكرة الغريبة في رأسي حتى تحرّك المخلوق عابرا حافة الباب، متبسّما، وكأنه قرأ ما دار في رأسي. ثم تحدثْ، بلا تلعثم، بل كان يكرر كلماتٍ محددةٍ وكأنه يحاول تعلّمِها. ماكانتْ لتُفيدكِ أبدا أبدا، قال الوحش الأخضر. أنفي كذيل سحلية. دائما ما ينمو من جديد ـ أقوى وأطول، أقوى وأطول. ستحظين بالنقيض

مما تمنْيتِهِ تمنْيتِهِ. ثم أدار عيناه لفترة طويلة كلعبتيَّ خُذْروفٍ[1] غريبتين.

أوه، لا، فكرتْ في نفسي. هل بإمكانه أن يقرأ أفكار البشر؟ أكره أن يعرف أحدهم فيمَ كنتُ أفكر، خاصة لو كان هذا الشخص مخلوقا بغيضا، صغيرا نكرة كهذا. غصتُ في عرقٍ بارد من أعلى رأسي وحتى قدمي. ماذا سيفعل بي هذا الشيء ؟ هل سيلتهمني؟ هل سيجرني معه إلى الأرض؟ أوه، حسنا، على الأقل ليس قبيحا للدرجة التي لا أستطيع فيها النظر إليه. وهذا أمرٌ جيّد، لديه رجْلان وذراعان نحيلتان صغيرتان ورديتان، تبرزان من جسمه الأخضر الحِرْشَفي ومخالبه الطويلة التي تنتهي بها يديه ورجليه. اقْتَرِبُ من حدِ الافتتانِ بهما كلما أمعنْتُ فيهما النظر. كما إنني أدركتُ أيضا، أن المخلوق لا ينوي إيذائي.

[1] لُعْبة الْخُذْرُوفِ : لعبة خشبية أعلاها رأس مستدير، و أسفلها مسمار يلامس الأرض خلال دورانها السريع، تلف ببكرة خيط وتقذف، لتستمر بالدوران بحسب قوة الرمية.

بالطبع لن أؤذيكِ، قال لي، مُمِيلا برأسه. وحراشفهُ تحتك ببعضها،أحداها عكس اتجاه الأخرى، عندما كان يتحرك ـــ مثل أكواب قهوة مكدسة على طاولة تهتز حين تلْكِزها. يا لها من فكرة رهيبة، سيدتي: بالطبعِ لن ألتهمكِ. لا، لا، لا. لا أضْمر لكِ أذى. لا أذى. إذنْ ما ظننتهُ كان صحيحا: كان يعرف بالتحديد بِم كنتُ أفكر.

سيدتي، سيدتي، سيدتي، ألا ترين؟ ألا ترين؟ جئتُ إليكِ طالبا يدكِ من أعمق أعمق أعمق أعماقي أعماقي. كان عليّ أن أزحف طوال الطريق. هنا للأعلى هنا للأعلى. فظيع. كان أمرا فظيعا، كان عليّ أن أحفر وأحفر وأحفر. انظري كيف فسدت مخالبي! ماكان عليّ أن أفعل كل هذا لو كنتُ قد عنيتُ جلب أي أذى لكِ، أيُّ أذى، أيُّ أذى، أنا أحبكِ. أحبكِ حبا لم أعد أقوى على احتماله في أعماقي أعماقي بعد الآن. زحفتُ طوال الطريقِ إليكِ، كان علي أن أفعل ذلك، كان علي أن أفعل ذلك، كلهم حاولوا إيقافي، لكنني لم أستطع الإحتمال أكثر، فكري في

الشجاعة التي تطلّبها الأمر، أرجوكِ، تطلّبها. ماذا لو خطر لكِ إنه لمن الوقاحة والغطرسة، الوقاحة والغطرسة أن يطلب مخلوقٌ مثلي يدكِ؟

قلتُ في داخلي: لكنها وقاحة وغطرسة حقًا.. ما أوقحك أيها المخلوق الصغير لتأتي طامحا بحبي!

ما إن فكرتُ بذلك، حتى غمرت وجه الوحش نظرة حزن، حراشفه أخذت مسحة من اللون الأرجواني، وكأنه بهذا التحوّل كان يعبر عن مشاعره، كما انْكَمشَ جسْمه قليلا، أيضا. طويتُ ذراعيّ أراقب ما يحدث أمامي من تغيرات غريبة. ربما أمورا كهذه تحدث له متى ما تبدلت مشاعره. ولعله يحمل هذا المظهر الخارجي الفظيع لكنه يخفي قلبا رقيقا هشا كحلوى خطميّ جديدة.

إذا كان الأمر كذلك، فأنا أعرف إنني أستطيع الإنتصار. قررّتُ المحاولة. صرختُ في داخلي بأعلى صوت، صوتا مدويا من

شدته اهتزّ له قلبي: أنت قبيحٌ أيها الوحش الصغير ، أنت تعرف ذلك. أنت قبيحٌ أيها الوحش الصغير! إذ ذاك إزدادَ لوّنُ حراشفِهِ الأرجوانية عمقا، وعينا الشيء بدأتا تتورّمان وكأنها تمتصان بداخلهما كل الكراهية التي كنتُ أرسلها له. وبرزت العينان من وجه المخلوق كتينتين خضراوين ناضجتين، ذرف منها دموعا مثل عصيرٍ أحمر اللون، تناثر على الأرض.

لم أعد أخشى الوحش، رسمت صورا في خيالي لكل الأشياء القاسية التي أود فعلها به. قيدته بسلكٍ متين إلى كرسي ثقيل الوزن، وبالكماشة بدأت في انتزاع حراشفه من جذورها، واحدة تلو الأخرى. سخّنتُ نصل سكين حاد وحفرتُ أخاديدَ عميقة في لحم ربلتي ساقيه الورديتين الناعمتين، وغرست حديدٍ محمي ساخن في عينيه التينتين الجاحظتين. ومع كل نوعٍ جديدٍ من التعذيب تخيلته، كان الوحش يترنح ويتلوى ويأخذ بالعويل من شدة الألم. وكأن تلك الأمور تحدث له في الحقيقة. بكى بدموعهِ الملونة، ونَزّ كُتَلا من سائلٍ كثيفٍ على الأرض، مُرْسِلا بخارا رماديا

من أُذُنيه له رائحة ورد، وعيناه تنظر لي نظرة واهنة من خيبة أمله بي. أرجوكِ، سيدتي، آوه، أرجوكِ، أتوسل إليكِ، لا تفكري بأشياء رهيبة! وبكى. ليس لدي أفكار شريرة ضدكِ. لم أكن لأؤذيكِ. كل ما أشعر به تجاهكِ هو الحب، هو الحب. لكنني رفضتُ الاستماع له. وقلتُ بداخلي، لا تكن سخيفا! أنت جئت زاحفا من حديقتي. وفتحت باب بيتي دون إذنٍ. تسللت داخله. لم أطلب أبدا حضورك. لذلك لي الحق في أن أفكر في أي شيءٍ أرغبُ فيه. وهذا ما فعلته بالضبط.. اسْتدْعيتُ خيالات رهيبة تجاه المخلوق. قطّعتُ ومزّقتُ لحمه بكل آلة وآداة استطعتُ التفكير بها، ولم تغب عني أي طريقة ممكنة لتعذيب كائنٍ حيّ وجعلهِ يتلوى من الألم. أنظرْ.بعد كل ذلك، أيها الوحش الصغير، فأنت ليس لديك فكرة عما تكونه المرأة. إذ لايوجد نهاية لعدد الأشياء التي أستطيعُ التفكير فيها لأفعلها بك. ولكن سرعان ما بدأ شكل الوحش يتبدد، حتى أنفه الأخضر القوي ذبُلَ وأصبح بحجم دودة. حاول الوحش أن يحرك فمه وأن يتحدث معي، وهو يتلوى على

الأرض. مكافحا لفتح شفتيه وكأنه يوّد أن يترك رسالة أخيرة لي أو ينقل حكمة قديمة أو معلومة حاسمة نسي أن ينقلها لي. وقبل أن يحدث أي شيءٍ اكتسب فمه سكونا مؤلما، و صارت هيئته ضبابية، ثم اختفى. الآن لايشبه الوحش شيئا أكثر من ظل مساء شاحب، كلّ بقاياه المتأرجحةِ في الهواء، ليستْ سوى عينيهِ المتورّمتين الحزينتين. هذا لم يعدْ يفيد، فكرّتُ بِهِ. بإمكانِكَ أنْ تنظر كما تشاء، لكن لم تعدْ قادرا على قولِ شيءٍ. ولا فعلِ شيء. وجُودكَ قدْ مُحي تماما، انتهى، إلى الأبد، سرعان ما تلاشت العينان إلى خواء، وعمّ الغرفة ظلام الليل.

انتهت